**المحاضرة السابعة:**

**أحمد شوقي ومرحلة مابعد البارودي(2)**

**المعارضات**

حاول شوقي، بعد العودة من منفاه، أن يصل مضمون شعره بقضايا عصره، في خطوة منه للبحث عن مجال لحركة أشعاره الإبداعية، ومن ذلك ما كتبه في مقام التعظيم والتوقير للممدوحه[[1]](#footnote-2):

الله أكبر، كم في الفتح من عجب يا خالد التـــــرك جــــددّ خـــالد العــــــرب

صلح عـــزيز على حرب مظفـــــــرة فالسيف في غمده والحق في النصب

فهذا القائد "في نظره مبعوث العناية الإلهية لإقالة عثرة الخلافة وإحياء مجد الإسلام، فمقامه من الترك هو مقام خالد بن الوليد من العرب كلاهما قد قاد جيوش المسلمين متنقلا من نصر إلى نصر، ثمّ هو يشبهه في جهاده جيوش المسيحية بصلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية"[[2]](#footnote-3).

**المعارضات:**

إن المعارضة عند شوقي، نقطة ارتكاز تدل على عنايته بدرس عيون الشعر الماضية، وهو درس انتهى به إلى فهم أسرار الصنعة، ومعرفة قواعدها وأصولها.

فالصلة –إذن- بينه وبين الشعراء العرب القدامى صلة متينة، مبعثها التأثر بهذا التيار القديم؛ الذي تمظهر في قصائد ديوانه (الشوقيات). وقد كان أمير الشعراء يختار الأعمال الكبرى لشعراء العربية الممتازين لأنه أراد أن يظهر مقدرته وتفوقه. مما أدى ببعض النقاد إلى تأويل المجاراة على أنها سرقات شعرية، دون النظر إلى ابتكاراته وتجديده وتحليقاته، التي ترتفع، بالشعر من مستوى إلى مستوى آخر، كما في نونيته:

يا نائـح الطلـح أشباه عوادينـا نشجـى لواديـك أم نأسـى لوادينـا

والتي عارض فيها قصيدة ابن زيدون، القائل:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

والواضح أن نونية ابن زيدون كلها لوعة وحرقة وشكوى من البيْن والأعداء والزمن أما شوقي فاستهل قصيدته بمناجاة طائر حزين، يرسل شجواه بوادي الطلح في ضاحية اشبيلية، لكن المعارضة –هنا- كانت أكثر من الناحية الشكلية، وما يلحقها من تبعات، سواء أتعلق ذلك بالقافية أم بالوزن.

كما عارض قصيدته التي مطلعها:

ودع الصبـر مـحب ودعـك ذائـع من سـره ما استودعـك.

بقوله: رُدّت الروح على المضنى معك أحسـن الأيـام يـوم أرجعـك

وقد جارى –أيضا- سينية البحتري التي مطلعها:

صُنْت نفسي عمـا يدنس نفسي وترفعـت عن نـدى كـل جبس.

بقوله: وعظ البحتري إيوان كسـرى وشفتني القصور من عبد شمـس

ففيها يصرح شوقي بتأثره قائلا: "كنت كلما وقفت بحجر، أو أطفت بأثر، تمثلت أبياتها".

وبالرغم من ذلك، فإن لشخصيته مكانها في قصائده، بحكم تجلي استرسالاته في مزجه لألم الفراق وتذكره لملاعب الصبا، بحديثه عن آثار بلاده:

وسلا مصرّ: هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسـى؟

كُلَّمـا مــــــــــــــــــــــــــرَّت الليالـي علـــــــــــــــــيــه رق، والعهد في الليالي تقسـى

فالمنحى الشاعري الفردي، يتجلى في تحول هذا البناء التشكيلي إلى ملحمة يتحدث فيها عن الدول ثم يفيض في الحديث عن الأندلس العربية وما شاد العرب هناك من علم وعمائر، ثم خرج إلى وصف قصر الحمراء"، وهذا الوصف كان غاية في الروعة والجمال حسب شوقي ضيف.

ويفتح باب المجارات أكثر فأكثر، ليشمل ابن الرومي القائل:

وفي النصح خير من نصيح موادع ولا خير فيه من نصيح مواثب

فعارضه شوقي بقوله:

آفـة النصـح أن يكـون جـدالا وأذى النصح أن يكون جهـارا

فهو بيت ارتفع –حسب الرافعي- إلى أفق بعيد ومعنى صحيح وبليغ، لإبداله (المواثبة) بـ (الجدال).

وقد عارض أبا تمام –أيضا- في بيت يصف فيه كرم ممدوحه:

تكـاد مغانيـه تهش عراصهـا فتركـب من شـوق إلى كر راكب.

بقوله في قصيدته (صدى الحرب):

يكـادون من ذعر تفر ديـــــــــــــــــــــــــارهـم وتنجو الـرواسي لو حـواهن مشــــــــــــــــــعب

يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى ويقضم بعض الأرض بعضا ويقضب

جاعلا هزيمتهم كأنها ليست من هول الترك، بل من هول القيامة، فكادت الدار تفر، وإلى جانب هؤلاء –جميعا- عارض أمير الشعراء، أبا خالد بن محمد المهلبى، بقوله:

وقد يموت كثيـر لا تحسهـم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا

وهو، في معناه، مأخوذ من قول المهلبي:

إنا فقدناك حتى لا اصطبار لنا ومـات قبلـك أقوام فما فقـدوا

إذ ولد شوقي، من هذا البيت، معنى جديدا وجعل العدم، الذي هو آخر الوجود في الناس، أول الوجود ووسطه وآخره في هؤلاء، الذين ماتوا على الحياة، فوجدوا وماتوا، كأنهم ماتوا وما وجدوا.

وعارض –كذلك- أبا العلاء المعري في صياغات قليلة، مثل قوله:

لِلمليـك المذكـرات عبيــد وكـذاك المؤنثـات إمــاء

وهذا النسج تتجلى مظاهره في الأبعاد الأساسية للمعارضة في شعره، فهو يتمعن ويدقق في معاني الأبيات، متأملا آفاقها وتجلياتها بكل ما أوتي من قدرات، تمكنه من بعث القديم في ثوب جديد، يزخر بروح باقية، تضع لنفسها مسارا حيويا، وآخر تطوريا يضمنان لها الصيرورة والدوام الأبدي.

وعلى الرغم من معارضاته للشعراء السابق ذكرهم، فإن هذه العملية كانت –في صلاتها المتعددة- أكثر ارتباطا بأبي الطيب المتنبي، الذي عدّ قطبا يدور حوله شعر شوقي، لأن أسلوبه "قد يغمض بسبب ارتباك الصياغة، واضطراب الضمائر فيها، أو بسبب خفاء الصورة والاستعارة والكناية، ومرد ذلك ازدحام أبياته –أحيانا- بالمعاني"، وهذا التشابه يمكن أن يُعزى إلى التأثر البالغ بالحكم والمثالية الأخلاقية، التي تمتاز بها قصائد المتنبي، أضفت على الشكل العام للبناء الهيكلي للقصائد صبغة خاصة.

إضافة إلى ما مضى، فإن تقليده لم يكن تقليدا أعمى، بل كان يعني التفوق والتوليد في المعاني، المبني على مبدأ الاختيار الواعي، وعلى الخلق والإبداع، فهو ليس تحجرا ولا جمودا وتعفنا، وإنما هو تغلغل وتعمق في التقاليد الفنية الموروثة...ثم يحاول أن يبتدع المثال النادر.

1. - الشوقيات، ج1، ص 59. [↑](#footnote-ref-2)
2. - محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج02، مكتبة الآداب، القاهرة، ط02، د/ ت، ص 22. [↑](#footnote-ref-3)